التوكل على الله

كي نتكلّم عن «التوكل على الله»، لا بدّ أن نتكلم أولاً عن اسمٍ من أسماء الله الحسنى هو اسم «الوكيل».

ماذا يعني اسم الله الوكيل؟؟

الوكيل

هو الذي يتصرّف برحمته في شؤون عباده، بما يُصلحهم ولا يُفسدهم.

قد يبدو تعريفاً أكاديمياً نظرياً، ولكن أيها الأخوة هذا هو الحاصل فعلًا في واقع البشر، وهذا هو فعل الله تبارك وتعالى بالناس، فهو يتصرف برحمته في شؤون عباده ولا يُضيّعهم، لذلك فإن الله لا يُضِرُّ أبداً، فكل أفعاله لك خير، حتى ولو كان ظاهرها مصائب...

هل رأيت أحداً، وكّل أحداً فضيعه؟!! فكيف يوكّله إذن؟! فالوكيل لا يضيّع عباده أبداً... وهذا اليقين لا بد أن يكون راسخاً داخلنا، لذلك فعندما ننظر إلى النبي ﷺ نجده يدعو كل ليلة ويقول: **«لبيك ربي وسعديك والخير كله لديك والشر ليس إليك»**. لا يأتي من عندك غير الخير، ولعلّ هذا يفسّر لنا كيف تحدث لنا مصائب

كذا وكذا ثم نجد في آخرها خيراً لنا، فمثلاً قد يُبتلَى أحد الناس بأن يموت ابنه، وهو يرى أن هذا الابن لو كان عاش، لاقترف من الذنوب والمعاصي ما يجعله من أهل النار، ولكن بموته يضاعف أبواه طاقتهما في العبادة فيرضى الله عنهما، ويلحق الابن بهما في جنة الفردوس وهو راضٍ عن الأسرة كلها.. قد يظن البعض أن الله أراد بهما الشر، لكنه والله ما أراد بهما إلا خيراً... هذا مثال بسيط حتى نفهم منه أن الوكيل لا يمكن أن يضيع عباده ولا يمكن أن يؤدي بهم إلى الشر... وحتى نفهم أيها الأخوة كيف نتوكل على الله، أضرب لكم مثالاً طريفاً: هل ذهبت إلى الشهر العقاري من قبل؟ بالطبع ذهبت، ومن المؤكد أنك قمت بعمل توكيل لأي شخص، وأنت تقوم بتوقيع عقد التوكيل هل شككت لحظة فيمن توكله؟ بالطبع لا، وإلا ما كنت توكله، من البداية لا بدَّ أنك وقَّعت وأنت في منتهى الثقة..

فلماذا لا نوقِّع مثل هذا العقد مع الله سبحانه وتعالى؟ لماذا لا نوكله؟ ونقول له: ألقينا عليك بشؤوننا يا وكيل، فأنت مسؤول عن حياتنا...

من يمنعك مني؟

رجل يأتي إلى النبي ﷺ وهو نائم، وقد علَّق سيفه على الشجرة، فيأتي هذا الأعرابي الكافر يريد قتل النبي ﷺ، فيأخذ السيف من على الشجرة ويضعه على رقبة النبي ﷺ، فيستيقظ النبي ﷺ ويجد السيف على رقبته والرجل يقول له: من يمنعك

مني؟! فيقول له ﷺ: «الله»، عندها يسقط السيف من يد الرجل من قوة الكلمة وصِدقها، فيأخذه النبي ﷺ، ويقول له: **«وأنت من يمنعك مني»؟** [رواه البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله] .

ما أريد أن أصلِ له أيها الأخوة..هل لدينا هذه الثقة وهذا التوكلُ؟ هل توكلنا على الله تعالى، يمكن أن يكون بهذه الدرجة؟

هناك صنفان من الناس أيها الأخوة...

صنف ضعيف الإيمان، يجزع عندما يجد أسباب الدنيا قد تأخرت، ونقصد بالأسباب: الحظوظ الدنيوية المادية، فكلما تأخرت الأسباب قلَّ يقينه بالله تعالى...

وصنف مؤمن صادق... كلما أدبرت الدنيا ازداد يقينه بالله، لماذا؟ لأنه ما دامت هناك أسباب تعتمد عليها فإنك تركن إلى الدنيا ولو قليلاً، ولكن عندما تنقطع بك الأسباب فلا يبقى لك سوى الله...

الوكيل يتصرف كيف يشاء

أحياناً أيها الأخوة تُظْلِم الدنيا تماماً، وتُغْلَقُ كل الأبواب، وكأن الله يريد ألا يبقى لك غير بابه سبحانه... ولعل دعوة النبي ﷺ لقريش تضرب لنا المثل على ذلك. فعندما كان يشتد إيذاء قريش للنبي ﷺ كانت هناك صخرتان يتحطَّم عليهم هذا الإيذاء: صخرة خارج البيت، وهي عمه أبو طالب الذي كان يخافه

المشركون، وأخرى داخل البيت وهي: السيدة خديجة ﵂ والتي كانت تخفف عنه الإيذاء.

ولكن يشاء الله أن يموت الاثنان في سنة واحدة وبينهما شهرين فقط... إنه الوكيل يتصرف كيف يشاء.. فلم يموتا بعد أن انتشرت الدعوة واكتمل الإسلام، ولكن أراد الله أن يموتا في وقت كان النبي ﷺ أحوج ما يكون إليهما، وكأنه الله بذلك أراد أن يقول لنبيه ﷺ: ما لك من وكيل سواي.

فماذا فعل النبي؟ ﷺ بذل مجهوداً أكثر ومشى مائة كيلو متر على قدميه، حتى يدعو أهل الطائف وكأنه يقول لله: أنا متوكل عليك لآخر الطريق، وأنا راضٍ بما تفعله.

«ما بالك باثنين الله ثالثهما»

وإذا أردت أن تتعلم التوكل حقيقة، فانظر إلى قصة هجرة النبي ﷺ التي تُظهر لنا حقيقة التوكل والأخذ بالأسباب...

فقد أخذ النبي ﷺ في الهجرة بإحدى عشرة وسيلة من أسباب الدنيا، فلم يترك شيئاً من التخطيط السليم إلا فعله..

يخرج من بيته في وقتٍ متأخر من الليل حتى لا يشعر به الكفار، ثم يذهب إلى بيت أبي بكر في منتصف النهار، حيث يقول أبو بكر: جاءنا في وقتٍ لم نعهد أن يأتِنا فيه، وذلك حتى يضلل قريشاً، ويخبر النبي ﷺ أبا بكر بأمر الهجرة، فيخرجان من كوة، في مؤخرة البيت (الباب الخلفي) ثم يسلكان طريق الجنوب ـ برغم أن المدينة باتجاه الشمال ـ حتى لا يعثر عليهما المشركون الذين

يمـحون طريق الشمال إلى المدينة، ثم يمكثان في غار ثور ثلاثة أيام زيادة في التمويه والاحتياط.. ويأتيهما عبد الله بن أبي بكر بأخبار قريش... وتأتيهما أسماء بنت أبي بكر بالطعام والشراب.

انظر إلى التخطيط السليم... فلن يتخيَّل أحد من قريش أن امرأة تحمل لهم الزاد حتى ولو كانت بنت أبي بكر، وأيضاً لا يمكن أن يتخيلوا ذلك؛ لأنها كانت حاملاً في سبعة أشهر.

ارايتم كيف يكون تخطيط المتوكل؟؟!!

وماذا عن آثار الأقدام؟؟ يرسل أبو بكر راعي غنمه عبد الله ابن فهيرة فيمر بغنمه كل يوم على الطريق الذي تمشي فيه أسماء وكأنه يرعى الغنم فلا يشك به أحد.

ولكن.. بعد كل هذا التخطيط هل وصل الكفار إليهما أم لا؟؟ نعم، وصلوا.. ألم يصلوا حتى باب الغار؟ وكأنك تقول داخلك: ألم يكن من المنطقي بعد كل هذا التخطيط ألّا يصلوا إليهما؟؟!! لا.. هذا بمنطق البشر، ولكن بمنطق الوكيل أراد سبحانه أن يصلوا إليهما، حتى يعلم النبي ﷺ ويعلمنا جميعاً معنى التوكل على الله، وأن الأخذ بالأسباب مع التوكل هي التي تُنجي.

ويصل المشركون أمام الغار، ويقول أبو بكر لرسول الله ﷺ: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، ويرد النبي ﷺ: *«ما بالك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن ان الله معنا»*..

التوكل مع قلة العتاد

لو رجعنا إلى التاريخ ونحن نتكلم عن التوكُّل، سنجد دائماً

في الغزوات والحروب الإسلامية: أن المسلمين كانوا أقل في العدد والعتَاد... سواء في بدرٍ أو أُحدٍ أو مؤتةَ.. وحتى في حرب أكتوبر. وربما ما نحن فيه الآن في مصر من نعمة الإسلام يكون كله في ميزان عمرو بن العاص الذي طلب من سيدنا عمر بن الخطاب المدَد بأربعة آلاف رجل ليفتح مصر، فأرسلهم إليه عمر، وعلى كل ألف منهم رجل هو بألف رجل... وهم الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعباة بن الصامت ومسلمة بن مخلّد... فدخل الجيش مكبّراً وفُتِحت مصر.. إنها الثقة في الله...

والآن نرى طفلًا بحجارة يهرب من أمامه جندي برشاش ودبابة.. إن هذا الطفل عنده من التوكُل والثقة في الله ما يجعل هذا الجندي يهرب من أمامه.

هل يعارض التوكل على الله مع الدعاء؟

يعني عندما أتوكل على الله في أمر ما ثم أدعو الله تبارك وتعالى في الصلاة هل يعتبر هذا ضعف في إيماني؟ أم أنني يجب أن أدعو الله حتى يتحقق هذا الأمر؟!

انتبه: معنى التوكل يا أخي: أن يكون قلبك مسلماً لله تعالى مع الأخذ بالأسباب، والدعاء من الأسباب فندعو الله؛ لأنه أمرنا بهذا كما أمرنا أن نطرق جميع الأبواب حتى تحل مشاكلنا...

لذلك أيها الأخوة لا يأتي طالب مثلًا لا يدرس خلال السنة ويقول: أنا متوكل على الله في النجاح!

أيها الأخوة ما أغلى هذا المعنى لمن فهمه.

نماذج ممن توكلوا على الله سبحانه

حسبي الله ونعم الوكيل

سيدنا إبراهيم عليه السلام... كان عمره ست عشرة سنة والبلدة كلها تتهمه بتكسير أصنامها... ويُؤخذ إبراهيم عليه السلام مقيداً، حتى يُلقى في النار. ولكنها ليست ناراً عادية: ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾ [الصافات: ٩٧].

أرأيتم ماذا يريدون أن يفعلوا بهذا الفتى الصغير؟ وبالفعل بنوا له هذا البنيان وأخذوه إليه وهم يسبون، ويشتمون، وإبراهيم لا يقول سوى كلمة واحدة: «**حسبي الله ونعم الوكيل**».

هذا هو عقد التوكيل.. نعم، هل وقَّعت العقد يا إبراهيم؟؟ هل سلَّمت أمرك للوكيل؟؟ إذن لا يضيعك الوكيل أبداً! فأتوا بالمنجنيق وهي آلة تشبه «السوستة» تُشَدُّ للوراء وتُطْلِقه فيسقط في النيران.. يا الله ليس هناك في التاريخ موتة أبشع من هذه!! ويوضع إبراهيم عليه السلام في المنجنيق وهو لا يزال يردد صيغة العقد: «حسبي الله ونعم الوكيل».

هل لديك هذه الثقة؟ هل لديك هذا التوكل؟ أم أنك تفزع لأي مشكلة؟ لماذا لا تلقي على الله بمشاكلك التي لا ذنب لك فيها؟ فلان مرض بمرض كذا، وفلانة حدث لها كذا... توكل على الله، فماذا بمكنك أن تفعل سوى أن تقول: حسبي الله ونعم الوكيل؟

ونعود إلى سيدنا إبراهيم، يوضع إبراهيم عليه السلام في المنجنيق،

وفي هذه اللحظة يأتيه جبريل عليه السلام ويسأله: ألك حاجة يا إبراهيم؟

بالله عليك لو كنت مكانه بماذا ستجيب؟

قال: أمّا لكَ فلا، وأمّا إلى الله، فنعم... حسبي الله ونعم الوكيل.

ولكن... أحياناً يترك الوكيل سبحانه الأزمة أن تبلغ إلى ذروتها حتى يُظهر بعد ذلك قدرته، سبحانه وتعالى. كان من الممكن أن تطفأ النيران وتنتهي المشكلة. ولكن حكمة الإله أرادت أن يكملوا خطتهم ويُلقى إبراهيم في النيران، ويُهلل أهل البلدة ويهتفون: «قضينا على إبراهيم» وينتظرون النتيجة حتى يروه متفحماً بعد أن تهدأ النيران....

وبعد ثلاثة أيام... يخرج إبراهيم من النيران... يخرج كما هو لم تفعل به النار شيئاً، إلا أنها فكّت قيوده، فخرج وهو مفكوك القيود. عاش إبراهيم عليه السلام فوق المائة سنة، ويُسئل عند موته: ما أحلى أيام عمرك؟ فيقول: الأيام الثلاثة التي قضيتها في النار... ***أيها الأخوة ان الوكيل لا يترك عباده ابداً، ولكن المهم أن يكون عندك هذه الثقة في الله.***

فنادى في الظلمات

داخل جوف الحوت، وفي جوف البحر، وفي جوف الليل يرقد يونس عليه السلام... هل تتخيلون هذا الموقف في هذه الظلمات الثلاث؟! تخيّل نفسك وقد حبسك أحدٌ ما داخل خزانة وأغلق عليك الخزانة بالمفتاح، وسمعته يلقي بالمفتاح من النافذة، ثم أغلق عليك

باب الحجرة، ثم أغلق باب البيت وانصرف... بعد كم ثانية ستنهار؟! هذا وأنت في بطن الحياة.. ما بالك بمن في بطن بحر؟! فما كان من يونس إلا أن قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

فوراً.. يخرج الحوت إلى شاطىء البحر، ويلفظ يونس عليه السلام، ويخرج يونس من بطن البحر، ولكنه كان معتاداً على ظلمة البحر فلا شمس ولا إضاءة، فيقول الله: ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾ [الصافات: ١٤٦]. كي تظلل جسمه...

ما هذا العفو؟ ما هذه القدرة؟ انه الوكيل الذي لا يُضيّع عباده أبداً...

فهناك من يعتقد أن كلمة: «حسبي الله ونعم الوكيل» هي دعاء على أحد ولكن حسبي الله ونعم الوكيل تعني: وكلتك يا رب، فافعل ما تشاء...

بنات سيدنا عبد الله وسورة الواقعة

دخل عثمان بن عفان على سيدنا عبد الله بن مسعود، وهو يموت، وكان له ثلاث بنات، فقال لابن مسعود: نأمر لبناتك بعطاء؟ ـ يعني نصرف لهم فلوس ـ فقال: لا حاجة لبناتي في المال، فقال عثمان: كيف؟ فقال: يا أمير المؤمنين، علّمني رسول الله ﷺ: أن من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم يُصِبْه فقرٌ أبداً، وقد علّمت بناتي أن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة.

هل يمكن أن يكون لدينا هذه الثقة وهذه الطمأنينة على أولادنا؟! الناس تعيش اليوم في اكتئاب وإرهاق نفسي، ولا يعلمون

أن التوكل على الله يحل هذه المشاكل.

تبدل أحوال الدنيا

تأمّل قصة سيدنا يوسف... فعندما نرى ترتيب الأحداث نعجب لها، فهذا صبي يحبه أبوه، هل هذا أمرٌ سيىء؟! ولكن تكون نتيجة لذلك أن يلقى في البئر (شيء سيء) فتكون النتيجة أن يدخل قصر العزيز (شيء جيد) فتكون النتيجة أن يدخل السجن (شيء سيىء) ثم يكون عزيز مصر (شيء جيد) وهكذا.. لا شيء يسير كما نتوقعه، وكأن الله يعلمنا أن أحداث الدنيا تخضع لإرادة الله يفعل بها ما يشاء، فالذي تظنه خيراً قد يؤدي إلى الشر، وما تظنه شراً قد يؤدي إلى الخير، فالأمر مرده إلى الله، لذا أوكل أمورك كلها إليه.

قصص من الواقع

حتى نكون صادقين

كان هناك شاب يبلغ من العمر ثماني عشرة سنة، وكان نابغة، فله من القدرات غير العادية ما جعله يتفوق على أقرانه. وفجأة مرض هذا الشاب مرضاً غريباً أفقده القدرة على اتّزان جسمه، وطاف به أهله على الأطباء في أنحاء العالم فلم يستطع أحد أن يُشخّص حالته.. وكنت أزور هذا الشاب وأنا متألم، وذات يوم قالت لي أمه كلمة جميلة جداً، قالت: أتصدق أننا فرحين بعدم قدرة الأطباء على تشخيص حالته؟!! فسألتها: لماذا؟ فقالت: حتى لا يبقى إلا الله، حتى نكون صادقين حينما نقول له: توكلنا عليك يا الله.

أيها الأخوة... إن التوكل ليس معنى صعباً، هل تعرف ما معنى التوكل؟ التوكل هو: أن تسعى في الدنيا بجوارحك، ولكن قلبك مؤمن بأنه لا أحد يملك الضر والنفع إلا الله.

يعني... تعلم أن مشكلتك حلها عند فلان الفلاني فتذهب له، وتطلب منه أن يساعدك في مشكلتك، ولكنك تعلم من داخلك أن الله هو الذي يحلها.. أي أنك تسعى إلى الناس بجوارحك وتسعى إلى الله تعالى بقلبك... هذا هو التوكل الذي يريده تبارك وتعالى منا.

توكلوا على الله، فكلما أحسنتم التوكل على الله، وكنتم صادقين في توكلكم أكرمكم الله وأعزكم.

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

تروي فتاة قصتها وتقول:

أنا فتاة عمري 23 سنة... كنت طالبة بالجامعة الأمريكية، ولم أكن منحرفة ولا ملتزمة تماماً فكنت دائماً في منطقة وسط... أسرتي متدينة ومن عائلة محافظة، فوالدتي سيدة فاضلة جداً، وكذلك كان أبي الذي توفي وأنا في الإعدادية، والذي اضطرب البيت كله بوفاته، لذلك نشأت منذ صغري وأنا أصلي وأعرف ما الذي يرضي الله وما الذي يغضبه.

عشت في الجامعة الأمريكية في صراع كبير حيث كنت في مجتمع مختلف، فيه الجيد جداً والسيىء جداً، أما الوسط فهم

قليلون، وكنت أنا في هذا الوسط... وكنت من وقت لآخر أصلي في مسجد الجامعة، وكنت أفكر كثيراً في الحجاب، ولكن كانت نظرة أسرتي للحجاب مختلفة... فهم يرون: أنني ما دمت فتاة مهذبة، محترمة، وأخاف الله، فالحجاب ليس شيئاً مُلزماً، خاصة أن أمي وأخوتي كانوا يريدون لي العمل في مجال يمنع الحجاب...

وفي يوم من الأيام دخلت المسجد وبعد أن صليت صلاة طويلة جداً، كانت فعلاً رائعة، فكرت وأنا في الصلاة في نفسي، وكيف أنني أخرج من المسجد فأخلع «الحجاب». فأنا مؤمنة أن المرأة خلقها الله طاهرة وعفيفة، وحدا بي هذا التفكير إلى الاقتناع بأنني يجب أن أظل على هذه الصورة التي أقابل بها الله في الصلاة، فذهبت إلى البيت، وكلي آمال أن تحتضنني أمي وإخوتي، وأن يباركوا حجابي...

كانت أمي خارج البيت، فكلمتها في التليفون، وقلت لها: لك عندي مفاجأة.

ولكن للأسف! وَجَدْتُ رد فعلٍ عنيفٍ وفظيعٍ: حرام عليكِ ما زلت صغيرة!

كنت خائفة جداً أن تضغط أمي عليّ لأخلع الحجاب؛ لأنني كنت مقتنعة به، وأراه هو الصواب، وبالفعل قامت أمي بتمزيق كتبي ومنعتني من الذهاب إلى الجامعة، وطردتني عند خالتي حتى أخلعه... بقيت في مشاكل كثيرة مع والدتي وإخوتي بسبب هذا الموضوع، أحسست وقتها بالضياع والإهانة.. فالجميع كانوا ضدي

حتى أن الكل قالوا لي: ما دامت أمك غاضبة عليك، فلن يقبل الله منك الحجاب، ولا أي عمل آخر... فشعرت بالضياع والدمار... هل كل ما ضحّيت من أجله، لم يعد له معنى ولا قيمة؟! ولم أعد أميز هل أنا على صواب أم لا؟ هل أُرضي أمي وأخلع الحجاب، وأنا أعلم أن هذا يُغضب الله؟ أم أتمسك به وأبقى خارج منزلنا، وأُحرم من الجامعة والمصروف؟...

ومرت الأيام والضغوط تتزايد وهاجمتني كل صديقاتي.. كيف أنني بقيت محجبة فترة بدون علم أمي حيث بقيت لمدة سنتين محجبة خارج البيت فقط، فكنت أُخبىء «الحجاب» في حقيبتي وأرتديه في السيارة وأبقى به طوال اليوم خارج البيت، حتى تعجبت أمي وبدأت تسألني عن التغيّر في شكل شعري، وارتداء الملابس الواسعة، وتغير شكلي، وبقيت تُهاجمني حتى اكتشفت موضوع الحجاب، وقالوا لي وقتها إني منافقة، وإنني بذلك أقدم صورة سيئة للإسلام... وعندما علمت والدتي قامت بالضغط عليَّ حتى خلعت الحجاب، ووقتها ارتبكت حياتي تماماً، ولم أعد أثق في أي شيء ولا في أي قرار أتخذه. شعرت أنني عريانة، وأن لي شخصيتين، وأن الله سيلومني على أنني لم أستطع أن أواجه الصواب... نتيجة لهذه الصدمة واهتزاز ثقتي في أمي وإخوتي بدأت أتصرف تصرفات عكسية، ولم أعد ملتزمة، كنت أحس بالذنب لتصرفاتي؛ لأنني لم أكن راضية عنها، لكنه كان مجرد شعور لأنني لم أجد من يقف إلى جانبي... ثم تخرجت من الجامعة، وعملت في هذا المجال ومن وقت لآخر كانت تنتابني نوبات بكاء شديدة وانعزال عن الدنيا...

أنا أُناشد كل أب وكل أم أن يساعدوا أبنائهم، كما أُناشد الأخوة على وجه الخصوص؛ لأن تأثيرهم يكون قوياً في إخوتهم .

الأمر كله مرده إلى الله

هذا هو معنى التوكل الذي يجب أن نتعلمه، والذي يجب أن يرسخ في نفوسنا بدلًا من الاكتئاب الذي سيطر على الشباب في سن العشرين خوفاً من المستقبل، توكل على الله وخذ بالأسباب، فبهذه البساطة تحل الكثير من المشاكل، وتعطي قوة وصلابة لمواجهتها.

أتمنى من القراء أن يتوكلوا على الله، خذ بالأسباب وافعل ما يجب عليك فعله، ووقِّع عقد الوكالة مع الله بكلمة: حسبي الله ونعم الوكيل ولن يخذلك الله أبداً إن شاء الله.

obeikandl.com